كلمات عن

عشر ذي الحجة

أ.أناهيد بنت عيد السميري

دار غرس القيم
للنشر والتوزيع

عشر ذي الحجة، وما أدراك ما عشر ذي الحجة ؟!

الله الحكيم الكريم الربُّ الرحيم علم ضعفك؛ فرغَّبك وحدَّد لك أيَّامًا معلومات، قليلة في العدد، عظيمة في الأثر.

وهبها لك؛ فاستحِ من ردِّ هبته، لا تجعلها كبقيَّة الأيام، فما جعلها الله كبقيَّة الأيام.

اجعلها أيامًا مميَّزة في قلبك، مميَّزة في حياتك.

إن مجرَّد تعظيمها قربة إلى الله، ولو قضيت الوقت الأكبر منها في حبس نفسك على تعظيمها لكان في ذلك خير كثير.

كلنا مسافرون، ومحطتنا الأخيرة عند رب العالمين، ومثل هذه المواسم تختصر الكثير الكثير من وعورة الطريق؛ فبادر وتلقَّ هبات الله بالشوق والترحيب والتعظيم؛ فهي أهلٌ للتعظيم.

كيف لا وقد أقسم بها العظيم بترك التعريف؛ فقال عزَّ من قائل:

﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ (الفجر: ٢)

تعظيمًا لها، وتنبيهًا منه لعباده على شرفها وفضلها.

وأخبرنا رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم أن العمل الصالح فيها أحبُّ إلى الله من كل الأعمال؛ فقال صلى الله عليه وسلم:

"مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهِنَّ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ الْعَشْرِ". (رواه البخاري والترمذي واللفظ له)

وانظر إلى كلمة (أَحَبُّ):

كل أحد يتطلَّع لمعرفة ما يحبُّ محبوبه؛ أفَلَسْتَ تشتاق لمعرفة محابِّ الله والمبادرة إليها؟!

ها هو من تحبُّ قد شرَّفك وأخبرك بما يحبُّ -وكفى بهذا الإخبار كرمًا منه سبحانه- أفستعرض عن إكرامه بعد هذا ؟!

يا من تتشوَّف إلى اختصار الزمن الذي يسبق حياة قلبك؛ لا تنظر لأعمال العشر على أنها تكاليف؛ بل انظر إليها كما نظر موسى عليه السلام حين سابق الزمن وقال:

﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾! (طه: ٨٤).

ما أطيب الدنيا لمن فاز فوزًا عظيمًا؛ فجعل (الرضا) هو علَّة أفعاله وهو غاية أفعاله؛ بل ما أطيب الدنيا والآخرة لذاك الموفَّق !

قد حاز سعادة الدارين! لمثل هذا فليتنافس المتنافسون!

عشر ذي الحجة، أيام معلومات، قد شهد لها نبينا صلى الله عليه وسلم بأنها أفضل أيام الدنيا، وأعظِم بها من شهادة !

هي وقت مناسك الحج:

- ففيها الإحرام والطواف والسعي والرمي وسائر الأعمال.
- وفيها يوم عرفة، وما أدراك ما يوم عرفة! وكم يعتق الله من رقاب في يوم عرفة! وما أدراك ما عشية عرفة!

يدنو فيها رب الملبِّين الذين هرعوا إليه من كل فجٍّ عميق يلبُّون نداء نبيِّه عليه السلام:

﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ﴾!! (الحج: ٢٧).

يدنو، ويباهي ملائكته بهذا الجمع الكريم، ويقول: ما أراد هؤلاء؟!

قال صلى الله عليه وسلم:

"ما مِن يَومٍ أَكْثَرَ مِن أَنْ يُعْتِقَ اللَّهُ فيه عَبْدًا مِنَ النَّارِ مِن يَومِ عَرَفَةَ، وإنَّه لَيَدْنُو، ثُمَّ يُبَاهِي بِهِمِ المَلَائِكَةَ، فيَقولُ: ما أَرَادَ هَؤُلَاءِ؟". (رواه مسلم)

- وفيها يوم النحر، وما أدراك ما يوم النحر! وكم يغفل الناس عن يوم النحر؟!

جاء في صحيح ابن حبان وغيره مرفوعًا:

"أفضل الأيام عند الله يوم النحر، ويوم القر".

وثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:

"يوم النحر هو يوم الحج الأكبر".

وفيه من الأعمال ما لا يعمل في غيره كالوقوف بالمزدلفة، ورمي جمرة العقبة وحدها، والنحر والحلق وطواف الإفاضة ...

فلا تغفل عن احتساب كل عمل فيه، حتى لو كان من قبيل المباحات.

واحذر أشد الحذر من الغفلة عن تعظيمه، فهو ضيف عزيز لن يعود إلا من قابل؛ فبالغ في إكرامه !

عشر ذي الحجة أيام معلومات، قد اجتمعت فيها أمهات العبادات؛ كما قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله- في الفتح:

"والذي يظهر أن السبب في امتياز عشر ذي الحجة لمكان اجتماع أمهات العبادة فيه، وهي الصلاة والصيام والصدقة والحج، ولا يتأتى ذلك في غيره".

فلا تبخل على نفسك بالعمل الصالح فيها، وقدّم الأهم فالأهم.

ولتكن عينك ورأس عنايتك بالفرائض؛ فإن أحب ما يتقرب به إلى الله ما افترضه على عباده، وما جعلها فروضًا إلا لتأكد أهميتها.

وإليك أهم ماتعتني به من الأعمال :

❁ **الصلاة:** اعتنِ بحضور قلبك وخشوعه في الفرائض منها والنوافل، محتسبًا مضاعفة الأجور على تعظيمك لها في أيام العشر، راجيا أن يكون هذا سببًا لاستمرار تعظيمها في سائر الأيام.

❁ **الحج لمن استطاع إليه سبيلًا:** روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

"من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه"!

وعنهما أيضًا قوله صلى الله عليه وسلم:

"العمرة إلى العمرة كفَّارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة".

❁ **الصيام:** لا تبخل على نفسك بصيام هذه الأيام، وآكدها صيام يوم عرفة لغير الحاج، واحذر أن تحوِّل وقت الصيام إلى نوم؛ فتخسر الذكر، وتخسر احتساب كل ثانية في تعظيم الأيام التي عظمها الله.

❁ **الإنفاق:** انظر -وكرر النظر- في قوله تعالى:

﴿مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾. (الحديد: ١١).

يتلطَّف الكريم فيدعوك للإنفاق بطريقة الاستقراض؛ فلا تبخل على نفسك بشرف الاستجابة.

ولا تنسَ أن الإنفاق لا يقتصر على المال؛ بل إن من أعظم ما يريد الله منك هو **حسن الخُلُق**، تصدَّق على الناس بالكلمة الطيبة، وطلاقة الوجه - خصوصًا أهل بيتك وخاصَّتك وأرحامك-، واصبر على أذاهم في هذه الأيام الفاضلة، وابذل لهم من واسع خُلُقك !

روى أبو داود، وأحمد، من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول:

"إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم".

ونحوه حديث عبد الله بن عمرو قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول:

"إن المسلم المسدَّد ليدرك درجة الصوَّام القوَّام بآيات الله عز وجل؛ لكرم ضريبته وحسن خلقه". (رواه أحمد).

وضريبته: أي طبيعته وسجيته.

❁ أما الأضحية؛ فلا تسل عن عظيم فضلها بعد أن قرن الله تعالى بين النحر و الصلاة؛ فقال عز و جل:

﴿فصل لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ (الكوثر: ٢).

وبعد أن قال تعالى فيها:

﴿لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۖ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾ (٢٨) الحج.

❁ عشر ذي الحجة أيام معلومات، فيها عبادة من أجل العبادات هي عبادة (الذكر) عمومًا، بأنواعه ومراتبه:

- وأعلى مراتبه: ما تحرك به القلب؛ فتداعى له اللسان، ولا يحظى بهذا الشرف أيًّا كان؛ بل عليك أن تدفع مهره، وليس أقل من مهجة القلب مهره.

إن الودود حين خلقك أراد أن يكون له أغلى ما فيك، وكل سعادة الحياة لك إن لبيت، وكل ضنك الحياة إن بغيره تعلقت !

- ثم يليه ذكر القلب دون اللسان.
- ثم ذكر اللسان دون القلب.

أما إن تعلق قلبك كشأن عالي الهمة بشرف أعلى مراتب الذكر؛ فعليك باغتنام هذه العشر، فهي مدرسة الذكر؛ إن أحسنت فيها خرجت بفائدة العمر؛ خرجت تعلمُ كيف يصبح لسانك رطبًا من ذكر الله، خرجت تعلم كيف تجد لذة الذكر وحلاوته.

وإليك أهم ما يعينك على لذة الذكروحلاوته:

١- أشغل قلبك بالتفكرفي نعم الله عليك وعطاياه وآلائه:

لقد كان الصالحون يتذاكرون نعم الله مذاكرةً لعظم أثر هذا على القلب؛ فإن الذي يفعل ذلك سيرى أن نعم الله تغمره أينما تلفَّت؛ فلا يملك إلا أن ينطق لسانه ب: **(الحمد لله)**!

وهنا سيكون لحمده طعم مختلف أشد الاختلاف عمن يقول: (الحمد لله) بلسانه دون أن يشعر لبُّه بفيض الحب العذب، وفورة دموعه التي لا بد أن تعلو لتطفئ لهيب التقصير!

يا أيها الذاكرون! شتان بين هذا الحمد و ذاك، وفي كلٍّ خير.

أما إن زدتَّ فقرنت ذاك بتذكر ذنوبك وجرائمك وعوراتك؛ فلا بد أن ينطق لسانك ب: **(أستغفر الله العظيم)!**

كثيرون هم المستغفرون؛ لكن من ذاق طعم الاستغفار بعد تذكر الذنب وحرقة الذنب ؟!!

اجلس لتذكر الذنوب كما تجلس للمهم من شأنك؛ فإن هذا من مهمات شأنك، لتذوق بعدها طعوم كلمات سيد الاستغفار متمايزة متغايرة؛ تتداعى لكل جملة فيه صور من المعاني (الجليلة ، الرقيقة)، ولن يجتمع هذان الوصفان في غير مقام أوبتك إلى مولاك !

ستعرف بعدها معنى أن لك ربًّا تعصيه؛ ثم لا تجد غيره يزيل مرارة المعصية وذلَّها عن كاهلك !

تعصيه؛ ثم لا تجد غيره تفيء إليه!!

تعصيه؛ ثم حين تفيء إليه تجد فيئًا لا يشوبه مرُّ الفيء إلى البشر!

تجد مأوًى بكل ما يتداعى إلى ذاكرتك من صور سكن (المأوى) وأمنه!

كل الفِطَر تبحث عن مأوى، لكن ما عرف طعم المأوى إلا المستغفر الذي سبق استغفاره تذكُّرٌ لذنوبه !

وما عرف طعم المأوى إلا الذي جلس وتأمل كيف كان ربه ينظر إليه حينها ويرخي عليه ستره!

يا أيها المستغفرون! شتان بين هذا الاستغفار وذاك، وفي كلٍّ خير.

٢- تدبّر كلام الله:

يا من تشتهي أن يكلمك فلان وفلان -مهما بلغوا من الشأن-، قل لنفسك: إنّ ربي (ملك الملوك) له كلام يكلمني به أنا!

قل لنفسك: العجب كل العجب أن الخلق مشغولون عني معرضون؛ وربي ملك الملوك يدعوني أن أكلمه، ثم يثيبني على ذلك، و يحب مني أن أخلص له فكري بترك استعراض كلام البشر في قلبي؛ لأتفرغ للاشتغال بكلامه تكرارًا، وفهمًا، وتدبرًا، وطلبًا لهداه، وذكراه، وشفائه، فلعل آية منه تثير هذا القلب عن خموده؛ بل لعل آية منه تنهض به فلا يقعد بعدها أبدًا!

هذا بالإضافة إلى أن قراءة القرآن بنفسها ذكر؛ فتحظى بهذا بشرف مواطأة القلب للِّسان في ذكر الرب العظيم.

٣- استعذ من وساوس الشيطان:

هل تدري كيف ينشط الشيطان في مواسم الخيرات؟

يأتيك أثناء التفكر بنعم الله؛ فيذكرك بالذي تسبب بهذه النعم؛ فيشغلك به عن المنعم الحق، وإنها لعقبة كؤود ترجعك للخلف خطوات لو كنت تعلم !

إذا وضعت يدك على هذا التفكير بالمخلوق؛ فسارع بطرده قبل أن يستحكم في فؤادك، وقل لنفسك معيدًا له إلى حجمه الحقيقي:

هو مجرد سبب سخره الله! هو رزق ساقه الله !

واعلم أن الشياطين في أيام العشر ليست مصفَّدة كأيام رمضان؛ فاستعن، وأكثر من الاستعاذة لتخنس عنك.

واعلم أن للإنسان طبيعة عجيبة خاصة به، وهي أنه لا يستطيع الانفكاك أبدًا عن التفكير؛ فإن لم تعتبر هذه الأيام غنيمة تشغلها بالتفكُّر بالنعم، والذنوب، وتدبُّر كتاب الله وتفهُّم أسمائه وصفاته؛ فترقى بها في

سلَّم الدرجات؛ فلا شك أنك ستغبن بهذه الميزة؛ لأنك إن لم تنشغل بالحق فسيشغلك الباطل، لا فكاك عن أحدهما !

أزل -لأجل هذا- عن قلبك غشاوات التعلق بالخلق، وأشغله بالتفكر في عظمة الخالق، وآلاء الخالق، وآيات الخالق.

أشغله بالاستعاذة من كل الملهيات، وخواطر السوء، ووساوس الشيطان.

أشغل لسانك بالتهليل والتحميد والتكبير؛ فقد روى الإمام أحمد رحمه الله عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال:

"ما من أيام أعظم ولا أحب إلى الله العمل فيهن من هذه الأيام العشر؛ فأكثروا فيهن من التهليل والتكبير والتحميد".

واعلم أن من أخص أنواع الذكر في عشر ذي الحجة **التكبير، وما أدراك ما التكبير؟!**

أيها المهموم !

أيها المحزون!

أيها الراغب!

أيها العبد بكل تقلّباتك:

من غيركُ يحتاج أن يعلم أن الله أكبر؟!

لو علمت كيف تصنع بك الله أكبر!

الله أكبر، هي الغيث الرطْب لجدب قلبك! وما أشد جدب قلبك !

الله أكبر، هي السقيا العذبة التي إن مرَّت على القلب قبل اللسان؛ غسلته من رانه وأدرانه ؛ثم تربَّعت على طهارة المكان !

الله أكبر، لو أعطيتَ فرصة لفكرك ليسأل وأنت تجيب: الله أكبر من ماذا ؟

الله أكبر من همومك!

الله أكبر من مخاوفك!

الله أكبر من ذنوبك!

الله أكبر من طاعاتك!

الله أكبر من رغباتك!

الله أكبر من الذي تحت يده مصلحتك، وقد خبَّأتَ

تحت ظلِّه رجاءك !

الله أكبر؛ لو أراد لك أمرًا لأتاك يسعى إليك سعيًا !

الله أكبر من أن يتركك على غيره عالة !

الله أكبر من أن يجعل لقلبك قبلة سواه؛ و أنت خلقه!

الله أكبر، لأجلكَ مواسمُ الخيرات جُعِلَتْ!

ولأجلكَ الأجور ضُوعِفتْ!

الله أكبر، إن غفلتَ عن حاجاتك فما غفل عنها الذي

خلقك !